الصباح
ملف
www.assabah.press.ma
السبت - الاحد 20-2008/12/21 العدد:2704

زراعة الكيف... الحلم المشروع

جمعيات وباحثون يطالبون بتقنين استعمالاته المشروعة

تطالب جمعيات من المجتمع المدني بفتح نقاشات جادة من شأنها أن تفضي إلى إيجاد السبل الكفيلة بتقنين زراعة القنب الهندي بالمغرب، قصد الاستفادة من زراعة ارتبطت تاريخيا ببلادنا، بمنطقة كتامة أساسا، وتوسعت حقولها لتشمل عدة مناطق. ورغم كل السياسات الحكومية للحد منها، لم تنفع في إيجاد مخرج للسكان المستفيدين من عائدات محاصيلها، إذ ما تزال العائلات في المناطق التاريخية للكيف تتعاطى النشاط ذاته، وتعتبر أن مردوده يفوق مردود أي زراعة بديلة أخرى، ولا يحتاج إلى بذل مجهود أكبر ولا يستلزم ظروفا طبيعية خاصة.

ملف هذا الأسبوع، قارب الموضوع، وأثار الجدل الذي خلقه مؤيدو طرح تقنين زراعة العشبة. وتعرض أيضا، لمختلف الاستعمالات الموازية، التي يمكن أن يتيحها تقنين زراعة القنب الهندي، والتي هي قائمة ببلدان أخرى، أحدثت استثمارات خاصة لتشجيع البحث العلمي في المجال. ورصد استراتيجيه الدولة المستندة في مجملها، على المقاربة الأمنية، ومحاصرة المئات من الهكتارات المخصصة لزراعة القنب الهندي.

مواد الملف

الخياري: لابد من دعم الاستعمالات المشروعة للكيف

يجب التأكيد أن سياسة اجتثاث المساحات المزروعة بالقنب الهندي لا تعني بالضرورة محاصرة التهريب الدولي للمخدرات، بل إن مافيات المخدرات قد انتقلت إلى تبني بدائل أخرى هي أكثر خطورة على الإنسان من مستخلص الكيف مثل الاتجار في العقاقير المخدرة الاصطناعية والكوكايين والهروين إلى جانب انخراط عدد منها في تزويد الشبكات الإرهابية والإجرامية بالأسلحة، وهو ما أكدته العديد من التقارير الرسمية الوطنية والأجنبية وحتى الصادرة منها عن هيأة الأمم المتحدة.

6

إستراتيجية متعددة الأبعاد لمحاربة زراعة القنب الهندي

وتعول سياسة الدولة في هذا المجال على تعزيز التعاون الدولي، خاصة مع بلدان الضفة الشمالية للبحر الأبيض المتوسط في إطار المسؤولية المشتركة. والتزم المغرب مع الاتحاد الأوربي على تعزيز العمل الميداني لمحاربة زراعة القنب الهندي ومواصلة الجهود للقضاء عليها نهائيا، وتعميم تجربة "العرائش بدون قنب هندي" على باقي الأقاليم التي تعرف هذا النوع من الزراعة.

7

القنب الهندي يستعمل في النسيج والبناء والتجميل

تشمل استعمالات القنب الهندي، العديد من الميادين الأخرى. فعلى الصعيد العالمي، نجد استعمال نوع من القنب الهندي المعروف ب (le chanvre)، في مواد البناء، وأساسا في مواد الصباغة والخرسانات، كما يستعمل أيضا في الجدران العازلة للحرارة، تعويضا لمادة ثبتت خطورتها على صحة الإنسان. كما أن هناك شركات عالمية تستعمله في إنتاج نوع من الحبال المتسمة بالسمك والصلابة. ولا يخفى استعمال سيقان هذه العشبة، أيضا، في قطاع النسيج في صناعة الخيام وبعض الأنواع من الأقمشة.

7

دعوة إلى تصدير منتجات القنب الهندي وخلق حركة استثمارية

تقنين الزراعة يقتضي الوقوف على إمكانيات تحقيق هذه الخطوة

أوضح محمد الحماموشي، مدير المعهد الوطني للنباتات الطبية والعطرية، أن الخطوة الأساسية التي يتعين على المغرب اتخاذها، قبل الخوض في جدل تقنين زراعة القنب الهندي أو لا، تخص أولا ضرورة إنجاز تجارب ودراسات علمية، تثبت فعالية هذه النبتة، وبالتالي تحدد القطاعات التي ستستعمل فيها.

وقال الحماموشي في اتصال هاتفي مع "الصباح" إن "الحديث عن تقنين القنب الهندي والجدل الذي يخلقه، هو نقاش سطحي، إذ يتعين أولا الاتفاق والحسم في الغرض الذي ستقنن زراعته من أجله، وذلك باتفاق بين جميع الشركاء، من جمعيات المجتمع المدني والحكومة والخبراء وكل الفاعلين والمعنيين، خصوصا أن الدولة تفتح سبل الحوار وتعمل على إيجاد الحلول في هذا الشق"، مؤكدا، في السياق ذاته على "ضرورة تقنين المواد المستخلصة من عشبة القنب الهندي أيضا، وإلزامية إجراء بحوث تفيد معرفة ما إن كان المغرب مستعد لمثل هذه الخطوة، وإن كان يتوفر على الإجراءات التي من شأنها توجيه استعمال القنب الهندي إلى صناعات موازية، من بنية تحتية وموارد بشرية متخصصة".

ومن جانبه، دعا شكيب الخياري، عضو ب"مجموعة نداء من أجل تقنين زراعة القنب الهندي وتوجيه استعمالاته"، إلى ضرورة تقنين استعمال نبتة القنب الهندي بطريقة مشروعة، خاصة في المجال الطبي والصناعي، عوض اجتثاث حقول هذه النبتة التي ثبت أن الزراعات البديلة للقنب الهندي لم توفر للعائلات التي تمتهن زراعته البديل الحقيقي.

وأوضح شكيب أن تقنين القنب الهندي «يتطلب إرادة سياسية حقيقية لوضع استراتيجية واضحة المعالم ومحددة في الزمن لرفع العزلة، تخصص لها ميزانيات خاصة واستثنائية في إطار التعاون الدولي، حينها يمكن التخطيط للوضع الاقتصادي الجديد بالمنطقة والتفكير في خلق حركة استثمارية مؤسسة على هذه الزراعة، ولم لا تصدير هذه المنتجات إلى الخارج ما دام المغرب يتوفر على حقول واسعة وذات جودة عالية».

وصلة بالموضوع، تستند الإستراتيجية المعتمدة من طرف المغرب في مجال مكافحة المخدرات على مقاربة متعددة الأبعاد، تقوم أساسا على البعد الأمني، والتعاون الدولي، والتحسيس. وتركز الدولة، في هذا المجال، على تشديد المراقبة على الشواطئ ونقط الحدود، لقطع الطريق على شبكات الاتجار في المخدرات، وهو ما مكن من تفكيك عدد من هذه الشبكات، وإلقاء القبض على عدد من أفرادها، ومن ضمنهم أجانب.

وتزاوج استراتيجيه المغرب في محاربة المخدرات بين القضاء التدريجي على زراعة القنب الهندي وتحقيق التنمية الاقتصادية في المناطق الشمالية المعروفة بزراعة هذه المادة.

هجر المغلي

نداء لتقنين القضاء النهائي على مافيات نهب الريف

الحاجة إلى حزم وشجاعة أكبر لإنجاز مصالحة حقيقية بالشمال الشرقي

لن ننتظر طويلا حتى تتحول دعوات أصدقاء شكيب الخياري لتقنين زراعات القنب الهندي بشمال شرق المغرب إلى ورقة في مهب الريح أو صيحة في بئر "غويط"، على رأي إخواننا المصريين. ليس لأن أصحاب "النداء"، وأغلبهم من أبناء المنطقة، لا يتوفرون على شرعية الدفاع عن مطلب يبدو واقعيا، إلى أبعد الحدود، بل لأن هناك، في هذا البلد السعيد، من ما يزال يصارع من أجل تكريس "التبواق" علامة جودة مغربية ويبقي على هذه التجارة غير المشروعة موردا للملايير من العملة الأوربية التي "تمول" الثراء الأسطوري والتفاوت الطبقي الفاحش بين أبناء الوطن الواحد.

أتخيل أن الماسكين الحقيقيين بخيوط تجارة المخدرات الصلبة بالمغرب، يضحكون ملء أنيابهم، متى تنتهي إلى علمهم أفكار ومقترحات تتوفر على جرعات كافية من الشجاعة، مثل تحويل نبتة الكيف أو القنب الهندي إلى مواد أولية لأدوية طبية تخفف آلام السرطان أو تداعيات فقدان المناعة المكتسبة أو توفر الاكتفاء الذاتي من مواد التخدير الطبي الذي يستورد المغرب حصصا كبيرة منه من الخارج، والمعنى واضح هنا: قطع الطريق على مافيات المخدرات وفتحها أمام استثمارات مشروعة تشتغل في واضحة النهار وتعمل على تحويل هذه الزراعة إلى منتوجات ذات فائدة إنسانية وتستفيد خزينة الدولة من عائداتها، بدل تهريبها إلى البنوك السويسرية.

قد يبدو الأمر للمدافعين عن تقنين القنب الهندي حلما جديرا بالتحقق، بعد اصطدام جميع الحلول السابقة بالحائط، لكن بالنسبة إلى آخرين لا يعدو مجرد "أحلام يقظة" مادامت الدولة لم تقرر، بعد، أخذ زمام الموضوع بالجدية والمسؤولية اللازمتين، ما يعطي لهذه المافيات الدولية (أضافت إلى أنشطتها تجارة الكوكايين والهيروين وقطع الأسلحة الخفيفة) هوامش كبيرة للاعتناء بهذا النشاط القذر وفتح أسواق جديدة له داخل وخارج المغرب وتوسيع دائرة المدمنين والحشاشين والمجرمين أكثر مما هي عليه اليوم.

منذ أكثر من عقد، يوجد مشروع القضاء على حقول زراعة القنب الهندي بمنطقة كتامة ضمن أولويات الدولة، التي ظلت تروج لهذا المشروع مدخلا لتنمية شاملة بالشمال الشرقي وتوفير بنيات لاقتصاد بديل يوفر لآلاف السكان من أهل الريف حياة كريمة أولا، ويمحو من الأذهان أنهم مجرد "تجار مخدرات" وفي أحسن الأحوال قوافل من المهاجرين المنتشرين في هولندا وألمانيا وفرنسا لا يربطهم بالوطن سوى أيام صيف معدودة وأكثرهم رحل ولم يعد بالمطلق.

والواقع أن هذا المشروع كتب له، منذ البداية، أن يسير ببطء ويتجنب، ما أمكن، الاقتراب من الرؤوس الكبيرة التي تضع يدها على مئات الهكتارات من الأراضي من "الذهب الأخضر" ويسهرون على حمايتها بـ"جيش" من المسلحين مستعدين، في كل الأوقات، لإفراغ بنادقهم في صدور المتطفلين، والأحرى التلويح بحرق محاصيلهم من الكيف والقنب الهندي، كما يجري مع الفلاحين الصغار المغلوب على أمرهم الذين أصبحوا يعيشون على الكفاف، فلا الدولة سمحت لهم باستئناف أنشطتهم الزراعية السابقة، ولا هم استفادوا من برامج حقيقية لتنمية المنطقة تقيهم لهيب الجوع والفقر.

لا يشك إلا جاهل في مسلسل المصالحة والإنصاف والحقيقة، كذلك، الذي دشنه حفيد محمد الخامس بمنطقة الريف، منذ السنة الأولى لجلوسه على العرش، من خلال زياراته المتتالية إلى عدد من مدن الشمال الشرقي وقراه ومناطقه النائية وإشرافه الشخصي على عدد من المشاريع التنموية، لكن يبدو أن جيوب المقاومة مازالت تتوفر على الأذرع الطويلة التي كانت لها سابقا مدافعة عن مصالحها "المقدسة" التي لا ترى في ريف محمد عبد الكريم الخطابي سوى قاعدة خلفية لمراكمة الثروات والجاه، ولا يستحق سكانه مجرد نداء لتحويل أهم زراعة لديهم إلى نشاط قانوني يمارس تحت ألسنة الشمس..وليس في جنح الظلام.

يوسف الساكت

ميزان الشارع

يجب أن تتحرك الدولة في اتجاه استغلال إيجابي لنبتة القنب الهندي، مادام يشار إليه دائما بأصابع الاتهام، فكل حديث عن المخدرات في الخارج يأتي لصيقا باسم المغرب، ولابد من قطع الطريق على تجار وأباطرة المخدرات باستغلال هذه النبتة في أبحاث طبية وعلمية وصناعية.

سعيد (جمعوي)

منذ القديم يستخدم سكان كتامة وغيرها من الدواوير التي تعرف هذه الزراعات هذه النتبة في العلاج من عدة أمراض بشكل عشوائي، فلم إذن لا تتدخل الدولة وتفتح المجال أمام الباحثين لمعرفة ما تتيحه هذه النبتة ذات المواصفات الخاصة من إمكانيات طبية، فربما يحمل الكيف المغربي خصائص لا تتوفر في باقي النبتات العالمية، وربما يمكن تصديره إذا ما ثبت أنه صالح لإنتاج دواء معين، أو غيرها من الاستعمالات الأخرى، فالكيف لا يصلح فقط ليكون مخدرا، بل لأشياء أخرى.

محمد (طالب)

لأول مرة أسمع عن استعمالات للكيف خارج التخدير، ولأول مرة أسمع أنه يستخدم في عدة صناعات، إذ كل ما نعرفه عن القنب الهندي هو أنه يحول إلى مخدرات، ويهرب إلى الخارج لتصنع منه عدة أنواع من المخدرات. وإذا كان فعلا صالحا لاستعمالات أخرى، فلابأس، في نظري، في تشجيع زراعته وتخصيص مساحات أخرى حقولا له، لكن وحدها الدولة يمكنها أن تفعل ذلك لمراقبة العاملين فيه.

عائشة (مستخدمة)

كلام آخر

ضحى زين الدين

خطوة

أغلب الدول التي تتوفر على مساحات لزراعة القنب الهندي تفتح الأبواب للبحث العلمي والطبي على وجه الخصوص في هذا الموضوع، إلا المغرب، فلا هو استطاع القضاء على الاستعمال غير المشروع للكيف، بكل سياساته واقتراحاته وحكوماته المتعاقبة، حتى أصبح وجه بلدنا شماعة تعلق عليها الدول الأجنبية كل التقارير السوداء وتصنف المغرب من البلدان المصدرة للحشيش بقوة. ولا هو، أيضا، استثمر هذه المساحات لخلق حركة استثمارية مشروعة في المنطقة، يستفيد منها السكان المحليون بالدرجة الأولى خاصة أولئك الذين حولتهم مذكرات البحث إلى حاضرين غائبين.

ورغم أن الدولة تعي جيدا أن ما تسميه استراتيجية محاربة زراعة القنب الهندي غير مجدية، ولم تعط بعد أي نتيجة طيبة، بل على العكس، صنعت مشكلا اجتماعيا من نوع جديد في المنطقة، إذ تحول مجتمع المدن الشهيرة بهذه الزراعات إلى مجتمع نسائي مائة في المائة، فلا تدخل سوقا من الأسواق الشعبية إلا لوجد زبناءه وتجاره من النساء، ولا تجد في الحقول إلا النساء، وأصبح ينطبق على رجال المنطقة ما قاله الراحل محمد زفزاف عن ثعلبه الذي يظهر ويختفي. وإن كانت الدولة عاجزة عن وقف نشاط زراعة الكيف وتعتبر أن هناك زراعات بديلة يمكنها أن تذر على السكان المحليين محصولا أكبر، فإنها مخطئة، وهذا الحكم يترجمه الواقع الذي تعيشه المناطق التاريخية للكيف، إذ أن فلاحيها لا يلجؤون إلى القنب الهندي لأنه يحولهم إلى أثرياء، فهذه الزراعة تضمن لهم قوت اليوم لا أقل ولا أكثر، والمستفيدون الحقيقيون هم أباطرة المخدرات، وهذا كلام معروف ومجتر، لكن الدولة تأبى إلا أن تغض عنه الطرف.

ولذلك فقط انتفضت جمعيات المجتمع المدني في الريف، وقالت إن على الدولة تقنين استعمال هذه النبتة، وتحويلها إلى أداة لتنمية المنطقة بشكل مشروع وقطع الطريق بذلك عن أباطرة المخدرات الذين يمتصون عرق السكان للصعود إلى قمة الثراء. وإن كان أحد مسؤولي وزارة الداخلية قد وافق في برنامج "مباشرة معكم" على القناة الثانية، على مقترح هذه الجمعيات، فإنه ملزم بتطبيقه، مادام صرح بذلك أمام ملايين المشاهدين، وهي الخطوة التي مازالت الجمعيات نفسها تنتظرها من المسؤول.